مناقشات

الى الدكتور الطاهر ..

بقلم صبري حافظ

حينما نعجز عن ان نحقق انفسنا بامكانياتنا ومن خلال اعمالنا، فقد نتوهم ان الطريق الاسهل هو تحقيقها على حساب الاخرين . واذا فشلنا في أن نطرح قضية او نثرى في واقعنا أخرى فالاسهل ان نتصور فشلنا فيان نطرح قضية او نثريفي واقعنا اخرى فالاسهل ان نتصور فالايسر ان نتصور انفسنا وقد تسنمنا بفعل تراكم السنين وحده ـ وقد طوى صاحبنا منها خمسة عقود او كاد منصة القضاء . فمجتمعنا ما زال مليئا ببقايا التقاليد القبلية التي ترى ان كبر السن في حد ذاته ـ حتى ولو اقترن بالجهل او الخوف ـ كفيل بان يجبر الآخرين على الانصات الى صاحبه . وأن « الشيبة » وحدها ستزد عنه الكثير، حتى وان كان يهرف بما لا يعرف . لكن الدكتور علي جواد الطاهر أمعن في اللجاجة والملاحاة الى الحد الذي أسقط معه عن نفسه هيبة « شيبته » من حيث اراد ان يؤكدها .

والرجل معذور .. أتيحت له ـ على آخر الزمن ـ الفرصة للتعالم وللحكم على عشرة أبحاث وأراد هو أن يزيدها واحدا حتى يزيد عدد الذين سيضطرون الى معرفة اسمه واحدا فنقد ، فوق البيعة ، نقد الابحاث .. ولم لا .. اليس عالما علامة وقاضيا وفهامه .. فليستحدث شيئا حتى ولو كان نقد « نقد الابحاث » .. ولم يكذب صاحبنا خبرا ، جلس فوق أعلى كرسي استطاع ان يجلس عليه .. واصطنع لنفسه اصحابا وحواريين يبادلونه الرأي بالرأي او بالاحرى يوافقونه عليه .. وشرع يوزع على هذا الالقاب والامارات ويحجب عن ذاك العطايا . وقد وزع الالقاب على كثيرين واقطع للبعض الامارات .. منح صلاح عيسى شهادة « انت اديب » . واعلن رضاه عن نقده الابحاث العدد الماضي دون ان يستطيع الاستفادة من نقد صلاح عيسى الذي حاول ان ينفذ الى جوهر كل دراسة وان يتناول من ورائها الظواهر والقضايا التي تثيرها او تشير اليها في واقعنا الثقافي والحضاري ، وان يقيم جسرا من الحوار الهادىء المتواضع المدعم بالادلة والبراهين بينه وبين كل بحث من الابحاث التي تناولها بالنقد والتعليق ..وكيف يتعلم شيئا من كانت الفطرسة تكاته والتعالم بغيته .. يكفيه ان يوزع الالقاب فليس باستطاعته المحاورة .. لان الحوار يتطلب علما وهدوءا وتواضعا . وحاشاه ان يتصف باي من هذه الصفات وهو الفهامة الكبير الذي يكتفي بأن يقول مرة باستعلاء يحسد عليه « والملاحظات على البحث ليست بذات شأن » فليس لفهامة كبير مثله ان يلقي الاعجاب على عواهنه لا بد من تحفظ وتحوط .. فأي ملاحظات يا هذا ؟! .. ان كان لديك شيء فقله ... وان كنت قادرا على المناقشة والحوار فقد كانت امامك الفرصة . ولا توهمنا بمثل هذه الجمل التهويمية بانك تعرف ما لا تعرف .

ولا يكتفي صاحبنا بمثل هذه التهويمات ، بل يتصور نفسه أحد سدنة الادب يلوح بالمفاتيح ، ويبعثر الاوامر .. يقول لصلاح عيسى « أكتب يا أخي مقالة » ويقول لمحمد الجزائري « زدنا من حديثك عن سعدي » ويقول لمحمد حافظ دياب « اننا ننظر من دياب دراسات اخرى » ويطلب من فؤاد دواره « ان يتسع وقته ليرجع الى مصادر اكثر وليعيد النظر من جملة صياغة بحثه فيحقق بذلك قدرا أكبر مما حقق من النجاح » دون ان يحس بانه يناقض نفسه في الجملة السابقة « وددنا لو ان الكاتب زودنا بحوثا اخرى من هذا الميدان وعلى هذا المنهج وبهذه الصورة » .. فكيف تتسق الرغبة في اعادة النظر من « جملة صياغة بحثه » مع طلب ابحاث جديدة « من هذا الميدان وعلى هذا المنهج وبهذه الصورة » .. لا أحد يدري .. ولكن صاحبنا يمضي في مثل هذا الخلط بغرور يحسد عليه ، وبثقة كاملة في أن الجميع رهن أشاراته ، ينتظرون بصبر وشغف توجيهاته وتعليماته حتى يهرعوا جميعا الى تنفيذها .. اما أنا ـ كاتب هذه السطور ـ فانه ينصحني فيما يبدو بالكف عن الكتابة .. ولا يتصور أبدا انني سأقع في معصيته . وأنا لا أكتب هذا الرد الان معاندة مني له .. فالانسان منا يتمنى ان يدوسه الترام على ان يقع في معصية كائن مثل علي جواد الطاهر .. فقديما قالوا « عدو عاقل خير من صديق جاهل » .. فما بالك لو كان هذا الاخير عدوا .. ولكني احاول هنا ان اوضح بعض الامور له . فربما يقتنع علي جواد الطاهر ، على كبر ، بأن يقرأ قبل ان ينقد ، وربما يطامن من غروره قليلا .. وبتصور ، ولو مرة واحدة ، ان الناس يكتبون لاسباب أخرى غير انتظار اشارة من اصبعه تقول لهذا استمر ولذاك اصمت .

ويبدأ علي جواد الطاهر حديثه عن دراستي لمسرحية (الجنس الثالث) بتلك الحيلة التقليدية المجوعة التي تتأسى على ما سفحت من الحبر وما أضعت من الورق . ربما لنعرف ان علي جواد الطاهر لا ينصب نفسه مسؤولا عن الادب وحده ولكن عن كل الحبر والورق في هذا العالم .. لا أدري كله ام العربي منه فحسب .. او لندرك ان من حقه وحده ان يسفح ما يشاء من الحبر وان يبدد ما يشاء من الورق .. لكنه بعد ان يتأسى على ما بددت من الحبر والورق تدركه نوبة مفاجئة من الكرم حيالي .. فيسمح لي بالحديث « فليتكلم » ولكنه ما يلبث ان يستدرك .. امعقول ان يترك لي الحبل على الغارب هكذا وهو الاريب الحويط .. لا بد من استدراك « فليتكلم ، ولو كان ذلك على حساب القارىء (ليس على حسابه هو بالطبع فحاشى الله ان يكون فارئا ؟!) على الا يسمي كلامه هذا نقدا » .. استأذن في سؤال صغير .. هل تسمي ما قمت به أنت نقدا ؟ !.. وايا كانت الاجابة فلا أريد هنا ان اناقش هذا الذي يتصور نفسه الها صغيرا ـ فما زلت اسيرا لنوبة كرمه المفاجئة ـ في معنى النقد . لان هذا يتطلب بداءة مصادرة او افتراضا مستحيلا . وهو انه قادر على ان يتعلم شيئا حول معنى النقد ومدارسه المختلفة منذ ارسطو حتى احدث الوافدين الكبار الى حقله .. وان يكون قد سمع شيئا عن مدارس النقد الادبي الحديثة التي تتفق كلها على أهمية تحليل العمل الفني ، باعتباره مخلوقا عضويا لكل جزئية فيه دلالتها ووظيفتها التي تتكامل مع دلالات ووظائف الجزئيات الباقية . وبالطبع لن اذهب الى ما هو أبعد من ذلك واحدثه عن المستويات المتعددة للمعنى في التجربة الفنية ، وعن تبدي هذا المعنى من خلال الشكل والتحامه معه، وعن دور النقد في هتك الحجب عن هذه المستويات المتعددة من المعنى ، وعن قدرته في الوصول الى معظمها ، وقيادة القارىء في شعاب التجربة الفنية بايحاءاتها المتعددة .. ولن أحدثه ايضا عن عفاء الزمن على الفهم السطحي للنقد باعتباره احكاما صارمة لا تقبل النقد، وانطباعات فاصرة لا تغني ولا تسمن من جوع . فليس باستطاعته ان يدرك ان التجربة الفنية باعتبارها حدسا أعتى بكثير من مجرد الواقعة التي تتحدث عنها . لان هذا يتطلب ان يكون قد سمع باسماء واعمال بعض الناس البسطاء المتواضعين الذين لا يتمتعون بشيء من غرور صاحبنا وتعالمه ولا حتى يجرؤون على التطلع الى شيء منه من امثال كوليردج وارنولد وكروتشه وريتشاردز وهيوم واليوت وريدو وونترز ووميزات وبروكس بيرك ورانسوم ولوميتر ولوكاس وفوكس وكودويل وهكس وفيشر وكاشكين وغيرهم ..وان يكون قد سمع بأن هناك علما يدعى علم الجمال وآخر يدعي علم المعاني وان كلا منهما

يدعو الى تحليل التجربة الفنية جماليا ودلاليا .. لا أحب ان اناقش علي جواد الطاهر هذا في ماهية النقد الادبي ولا في رسالته ، فهذه امور لا تناقش مع الآلهة الصغار ، ولكنها تشغل المتواضعين والبسطاء من الذين يعانون في سبيل فكرة او اضافة صغيرة الى قضية تشغلهم .

ولكني احب فقط ان اقول .. هناك فرق كبير بين التلخيص والتحليل ، فقد خلط بينهما صاحبنا بصورة فاضحة . فالتلخيص يتحدث عن الواقعة التي يدور حولها العمل الفني وهي أفقر ما في العمل الفني الجيد .. فقر الهيكل العظمي الميت اذا ما قيس بالجسم الحيّ . انه يتحدث عن ((الحدوتة)) او الحبكة ـ فربما لا يعرف هذه الكلمة الاخيرة ـ التي يقدمها العمل الفني وهو ما يتصور البعض (؟!) انها كل شيء في العمل الفني . والتلخيص هو ما يمكن ايجازه في سطور قليلة ، اما التحليل فهو شيء آخر .. لا بد ان صاحبنا لم يسمع أبدا عن اي من الدراسات الضافية التي تحلل قصيدة فيما يبلغ اضعاف حجمها بعشرات المرات (حجمها المكتوب) ولا عن الكتب الكبيرة التي تقع في مئات الصفحات لتحلل خمس او عشر قصائد لا تشغل من الحيز الورقي أكثر من عشر صفحات . وما حاولت ان أقدمه ، وقد ذكرت هذا في دراستي عدة مرات هو تحليل للمسرحية وليس تلخيصا لها . والتحليل شيء غير التلخيص ـ كما ان الثراء شيء غير الفقر ـ لانه سبر لاغوار العمل الفني وتحليل لجزئياته ومعني بصير مع خطواته بحثا عن دلالات كل موقف وعن ايماءات كل ايماءة . وتعرف دقيق على وظيفة كل جزئية فيه ودلالة كل شخصية ومدى تكامل هذه الدلالات، وتوافقها في بنية كلية واحدة تتبادل التأثير والتأثر ، وتحمل من المعاني أكثر بكثير من مجرد المجموع الحسابي للجزئيات .. وهذا التحليل الذي يقترب من التجربة الفنية ويكشف كل جزئياتها هو القادر على التعرف على المستويات المتعددة من المعنى فيها . والدراسة ـ المتواضعة التي نشرتها الآداب لي ـ كلها هذا التحليل .. ما يسميه فيها تلخيصا هو تحليل بهذا المعنى.. وما يسميه تعليقا هو استمرار في التحليل ووصول به الى بعض مستويات المعنى التي تكشف من خلال التحليل المتربث لبنية التجربة الفنية ونسيجها .

ولو قرأ علي جواد الطاهر دراستي قبل ان ينقدها للاحظ منذ بداية تحليلي لنص المسرحية انني لا الخص وانما احلل كل شيء : المنظر المسرحي ودوره .. اللوحة المعلقة به ودلالتها في العمل الفني .. العلم الذي تخصص فيه البطل ومغزى اختيار الكاتب له دون غيره من العلوم ومدى توفيق هذا الاختيار او خطله .. طبيعة المناخ الذي يسود العلاقة بين العالم ومساعدته ... أهمية اختياره للرقم (٧) وظلاله الشعائرية في الوجدان الانساني .. مدى وقوع الموقف الدرامي تحت ضغوط وضرورات تدفعه للتفتح التدريجي امام النظارة .. ومدى ملاءمته للعلاج المسرحي .. بداية عملية تبادل المراكز التي أخذت في التخلف تحت جلد الاحداث .. العلاقة بين ما يدور في واقع الشخصية وما تهجس به اعماقها .. طبيعة الايقاع المسرحي ومدى توافقه مع تطور الحدث الدرامي وتفتحه .. مدى قدرة الكاتب على الايماء بالاحداث القادمات والتمهيد لها ، وقدرة حواره المسرحي على القيام باكثر من وظيفة واحدة في اللحظة الواحدة .. كل هذه القضايا بدأت في اثارتها منذ بداية تحليلي للعمل الفني وعلى وجه التحديد في العمود ـ الاول من ص ١٦ من عدد ابريل من (الآداب) ـ الذي تحدثت فيه عن ((البرولوج)) الذي بدأت به المسرحية .. وهو استهلال قصير لو كنت أقدم ملخصا له لما قلت اكثر من جملة واحدة ((عالم ومساعدته يجريان بعض التجارب في معمله ويسمع نداء غامضا فيقرر الاستجابة له)) . لكن ما قدمته كان شيئا آخر غير هذا التلخيص .. ولو كان على جواد الطاهر يقرأ قبل ان ينقد او بالاحرى يحسن فهم ما يقرأ لادرك منذ بداية حديثي عن المسرحية ان هذا ليس تلخيصا ولكنه تحليل .. وان الدراسة كلها استمرار لهذا المنهج النقدي المتواضع الذي يقترب من العمل الفني بلا جعجعة ولا ادعاء يحاول ان يتعرف على جزئياته وان يستشرف رؤاه .ولو كان باستطاعته ان ينمعن ما يقرأ لادرك ان للدراسة بناء كبناء العمل الفني ، وانها تبدأ بمجموعة من المقدمات ثم تقوم برحلتها مع العمل الفني خالصة من الرحلة بالتعرف على طبيعة البناء والمحتوى في العمل المسرحي الذي تتناوله منتقلة بعدها الى تقديم تفسيرها لبعض ما تقوله المسرحية .

ولو قرأ علي جواد الطاهر قبل أن يتعالم وينقد لاكتشف انني اقدم تحليلا نقديا للنص المسرحي ـ وهو شيء غير العرض المسرحي ـ ومن ثم لم يكن هناك مبرر لاثارة ما يعتقد هو انه ((صميم)) النقد المسرحي من مناقشات حول اختلاف المعروض عن المطبوع وما اذا كان التغيير قد جرى بعلم المؤلف او بعلم المخرج .. فهذه اسئلة تثار عند مناقشة العرض المسرحي ، وهو الامر الذي كان يستطيع لو قرأ قبل ان يرتدي مسوح القاضي وينقد ، ان يتأكد انني لم افعله ..ففي كل بلاد العالم يفرق خلق الله بين تناولهم للنص المسرحي باعتباره ابداع المؤلف الخالص ، والعرض المسرحي الذي لا يعتبر فهما كان حظه من النجاح او التوفيق سوى تفسير معين للنص المسرحي وتجسيد لهذا التفسير فوق خشبة المسرح .. وحينما يناقش المخرج في تفسيره للنص المسرحي علينا ان نطرح عليه الاسئلة التي اقترحها الهنا الصغير .. وأسئلة أخرى غيرها اكثر أهمية لا يستطيع بالقطع ان يقترحها لانها فوق علمه المتواضع ولا أقول تعالمه الهزيل .. ولانني قدمت دراسة للنص المسرحي كان عليّ ان اشير الى النسخة التي أعتمد عليها .. وقد ذكرت عرضا اختلافها في اماكن كثيرة عن النص المعروض حتى انبه من شاهد العرض الى اهمية قراءة النص الذي طبع بموافقة المؤلف وعلمه وهو الشيء الوحيد الذي يجب ان نحاسبه عليه .. لكن دائما ما يتشبث امثال علي جواد الطاهر بالامور الثانوية .. يتركون الرأس ويقلفون عجزهم بالاهتمام المفتعل بالذنب .

ويسائل علي جواد الطاهر شخصا مجهولا من حواريه ويسائل المرء بعد كل هذا عن علم صبري حافظ بفن المسرحية ، مصدره على الاقل ؟ . ان صبري حافظ يستطيع ان ينكلم بثقة ، ولكنه لا يستطيع ان يقنع بثقته هذه القراء)) .. واضح انه هو الذي استطاع ان يقنع بثقته القراء !!؟ .. فالقدرة على اقناع القراء بثقة حكر على الهنا الصغير .. ولقد اقنعهم بالفعل .. لا بما قال ولكن بالرثاء لحاله ... وكاد يقنعني انا الاخر بالانصراف كلية عن مناقشته والاكتفاء بأن أقول : دعهم في ضلالهم يعمهون .. لولا انه ينصب نفسه مرة أخرى، مسئولا عن الادب وعن الحبر وعن الورق .. ولو واتته فرصة اخرى لقال لنا انه مسؤول عن اشياء لا يعلمها الا الله .. وانا لا أحب هنا أن أجيب بالطبع على شخصه المجهول ، لاني أعرف انه لا بد قد سارع بموافقته الراي . ولكني أقول له مرة اخرى ، انه لو أحسن فهم ما قرأ لادرك انني أعرف عن المسرح اضعاف ما يعرف هو .. منذ تيسبس ـ واظن انه لا يعرفه ـ حتى آخر الوافدين الى حقل المسرح من آردن وويسكر وارابال وابرازوف الى بروك وبارو وبيهان وكامينون وبولت وفايس وكيبارد وبنثر وغيرهم .

فكتابة المرء خير دليل على علمه بأمر أو جهله به .. وأنا أرضى ان يحكم عليّ بكتابتي .. فهل يرضى علي جواد الطاهر ان يحكم عليه بتعالمه وادعائه ؟ انا لا ارضى له ذلك .. فلا بد ان احدهم عبث به . أو انه كتب ما كتب عني ، دون ان يقرأ فقط ، ولكن ، وهذا أضعف الايمان ، دون ان يكون في حالة واعية تمكنه من السيطرة على ما يقول .. لانه لو كان قد قرأ وسيطر على ما كتب لما قال انني قلت انها .. والهاء عائدة على المسرحية ((أنها بلورة شعرية لكل ما في واقعنا من صور للقيم الموجودة)) هكذا قرأ الجملة التي قلت فيها ان ((هي)) احدى شخصيات المسرحية تتبدى في مستوى من مستويات المعنى وكأنها بلورة شعرية لكل ما في واقعنا من اصالة.

وصورة للقيم المرجوة واللام وللحبيبة والوطن » .. أهذه صورة يقرأ بها انسان يسيطر على نفسه جملة ما ؟ ما أقوله عن شخصية يتصور انني افوله عن المسرحية ككل .. وما اتحدث فيه عن القيم المرجوة والمفتقدة يتصور انني اتحدث فيه عن القيم الموجودة . وما أقصد به تفسيرا سياسيا للمسرحية حينما أرى ان (هي) احدى شخصياتها صورة للوطن وللقيم المرتجاة وان علاقات بقية الشخصيات بها هي نفس علاقات بدائلهم بالوطن .. يتصور انني ادفع به عن المؤلف اتهاما سياسيا .. اذ يقول بعدما يقرأ الجملة السابقة بالصورة الخاطئة .. ويحذف منها ما يحذف ويبدل ما يعن له تبديله ثم يحملني بعد ذلك مسئولية قراءته غير الواعية وخلطه عندما يضع الجملة المشوهة بين قوسين حتى يوهمنا بانه اقتبسها عن النص بامانة .. يقول بعد كل ذلك «كأنه يدفع عن المؤلف اتهاما سياسيا» بينما يستطيع من يقرأ هذا الجزء من الدراسة ان يدرك بوضوح انني لا ادفع عن المؤلف اتهاما سياسيا بل اسجل له شرف رؤيته السياسية الناضجة .. فهل بعد هذا الفهم المعكوس للامور ، وبعد هذا الادعاء الكاذب للامانة من امل ؟!..وهل يرضى هذا الاله العصبي المتشنج الصغير بأن نحكم عليه بكتابته بعد ان عجز عن قراءة جملة بصورة صحيحة ، وبعد ان عجز بالاحرى عن فهمها .

يقول علي جواد الطاهر « المهم ان القارىء بضيع وقتا عزيزا في قراءة الاعمدة الاربعة عشر ».. فهل استطيع ان آمل الا يضيع صاحبنا هذا الوقت عبثا وان يستفيد مما قلته له هنا فيحاول ان يقرأ قبل أن ينقد وبطامن من غروره قليلا ..هل يستطيع المحاولة ؟.. نقرأ فقط ما يتعرض لنقده ولا أطالبه بما هو أبعد من ذلك وهو انه كان يجب عليه ان يقرأ ليس ما كتبته عن المسرحية فقط ولكن المسرحية نفسها أيضا ليتمكن بعد ذلك من الحكم الجاد والموضوعي على الدراسة التي يتعرض لها بالنقد ؟.

القاهرة . **صبري حافظ**

رد على نقد

من أولى واجبات الناقد الذي يحاول الكشف عن الابعاد الجمالية والفكرية في قصة ما ، أن يطالعها بعمق حتى يستطيع ان يستوعب بناءها ومضمونها القصصي وعلاقتهما الجدلية ، ولكي يكون حكمه صائبا وحقيقيا وبالتالي ليبتعد عن الارتجال والتقرير المباشر في نقده . وهذا بالفعل ما وقع فيه ناقد كبير هو الاستاذ ادوار البستاني في نقده لقصتي المنشورة في عدد ايار ١٩٧١ ـ تحت عنوان : ارمسترونغ والآخرون .

ان الاستاذ البستاني كما تبادر لذهني تصفح القصة تصفحا عابرا بدليل انه في ملخص القصة الذي اورده قال : ان بطل القصة حاول ان يستلف من المصرف مبلغا من المال .

ولو انه قرأ القصة بتمعن لأدرك ان عمه هو الذي حاول الاستلاف وليس هو . اي البطل . ولادرك بالتالي ان القصة تحاول ان توضح مفهوما نفسيا وفلسفيا وهو أن الاحداث الكبيرة التي تجري في العالم لا تستطيع ان تطغى على مشاكل الفرد وهمومه مهما بدت (للاخرين) انها تافهة وصغيرة . ويدل على ذلك الحوار المتشابك بين التلفزيون والعم والابن والاب . اما من ناحية القول بان القصة لم تخرج عن اطار السردية والمباشرة فربما لم يع الناقد الكريم انني حاولت الاستفادة من التقنية المسرحية التي تعتمد على الحوار والمباشرة ولكنها تظهر بذلك ابعاد الشخصية المسرحية وعمقها.

بيروت **احمد محمود زين الدين**

بين العجيلي والعيتاني

بقلم : ابراهيم الجرادي

من بدهيات القول ان الحياة تتوالد كل يوم عن جديد ويتواصل مستمر .. والادب هو الصورة المثلى التي تفصح عن هذا الجديد باشكاله المتنوعة ، ومما لا يقبل الجدل ان تجديد الشكل هو التوحيد الصحيح الذي يعطي المضمون روحا خلاقة ومبدعة .

والتنافر ـ ولا نقول الصراع ـ دائم ـ ومستمر بين الجديد والقديم لان الاول يتجاوز الثاني ويزعزع مركزيته ، متجاوبا مع روح العصر المتطورة ، مصورا هذا الاستلاب الروحي ، والغربة القسرية ، والرفض المتحزب ، لتأخذ قمتها في ذهنية الاديب .

امام هذه الصيغ والاشكال الحضارية ، وقع الشرخ في ابنية القديم الرملية .. لذلك نرى ان عقلية الوصاية والابوة ، والارتجاف من الرأي التاريخي الجريء ، تجمع طاقاتها الخبيثة لترجم الجديد بكل التهم المزيفة من « تقليعة .. شعوبية .. انفلات » . لذلك فان الولادات الجديدة تحتاج دائما لظروف جديدة وملائمة ، لخلق الارضية الصلبة التي تتحرك عليها المخلوقات التي تبحث عن هوية مميزة .. وهي بلا شك ستلاقي في محاولاتها الجادة ، بعض الصعوبات والعوائق .

وحركة التجديد العربية ، عبر استمراريتها في خلق مناخات معاصرة وحضارية ، ستمر حتما في مخاض عسير تتولد عنه الرؤية الجديدة للحرف العربي والمعركة الدائرة بين الخيول الهرمة التي ما زالت تتقدم السبق في أجهزة الاعلام والصحف .. والمؤسسات الرسمية .. وبين حركة التجاوز والتخطي التي تحاول ان تتنفس رغم الخنق الذي تحاول عرضه قوى القديم ونسلك عن طريق التجمعات الادبية والمجلات (غاليري في مصر ، الكلمة في العراق جماعة ثورة الحرف في سورية ، مواقف في لبنان ، والآداب نوعا ما) .. والصراع بتواتره يصل لحدود التصادم في القطر العربي السوري ، على الرغم من ان المعارك التي تأخذ طابعا صغيرا في بعض الاقطار وصلت مسامعنا ، كاراء صالح جودت والعقاد في الشعر المصري المعاصر ، وغيرها .

وانني اذ ارى ان المعركة هي معركة اليمين واليسار .. معركة الوصاية والرفض ، معركة الشيوخ والشباب .. سأناقش من هذا المنظار ما قاله الدكتور عبدالسلام العجيلي في محاضرته « رؤية في القصة » الآداب العدد الخامس ١٩٧١ وما كتبه الاستاذ محمد عيتاني في العدد الذي يليه ، وفي باب « قرأت العدد الماضي من الآداب »

★★★

يقول محمد عيتاني : « حين تحدث الدكتور العجيلي عن كتاب القصة الجدد العاملين لتطوير فن الاقصوصة والقصة ، المزيد من تطوير هذا الفن ، فقد اختار نموذجا كاريكاتوريا من احدى المجلات ، وقرأه للتدليل على رداءة هذه النوع من التجديد » .

لن أناقش هنا صحة ما قاله العجيلي ،ابل اتساءل بمرارة وخيبة، عن قيمة هذا القبول الميكانيكي لآراء العجيلي .. فهو لم يقرأ القصة اولا .. حتى ولم يعرف اين نشرت ..؟ لذلك نوضح ان قصة « الرجل الذي نسي عيد الميلاد » لابي هيف ، تمثل وجها جديدا في الحركة القصصية في القطر السوري ، والا لما وقع اختيار هيئة تحرير مجلة « المعرفة » عليها .. وهي المجلة المتزنة ان لم نقل الجامدة ، لتكون الى جانب قصص العجيلي ووليد اخلاصي وحنا مينه وجورج سالم وغيرهم .. مواد العدد الخاص عن القصة السورية .

يغفر لي محمد عيتاني ان قلت : ان هذا القبول لآراء العجيلي

وبهذا الشكل لدلالة قاطعة على ان هذا التملق البدائي المقيت ، ما هو الا وجه اخر لهذه الآراء المهزوزة والخاطئة . التي انداحت علينا ومن على صفحات مجلة « الآداب » لتقيم مهرجانا من المدائح المزيفة، والآراء التي لا تستند الا على عناوين قصص العجيلي ، وحسبنا ان نعلم ان ناقدنا الفذ قد استشهد بقصة العيجلي الاخيرة « حكاية مجانين» والتي نشرت في مجلة « المعرفة » السورية ، الى جانب قصتي « عادل ابو شنب » و « عبدالله ابو هيف » والتي استشهد بمقاطع منهما الدكتور العجيلي .. ولم ير فيها الناقد ـ الا قصة العجيلي ـ هذا اذا رآها ـ .

لنستمر مع العيتاني « وبديهي ان النموذج الكاريكاتوري الذي رآه الدكتور العجيلي من احدى المجلات لا يمثل اعمال عبدالحكيم قاسم، وسليمان فياض ، وجمال الفيطاني ، وصلاح عيسى ، وهاني الراهب، وعشرات من القصاصين العرب الذي يبدعون فنا جديدا ».

لنتعرف على كاتبي القصتين ونحكم .. مع الاعتذار « للبداهة » التي يستند عليها الناقد ، والروائي ، والقاص ، والسياسي العيتاني:

عادل ابو شنب : صاحب قصة « احلام ساعة الصفر » التي استشهد العجيلي بمقاطع منها ، اخرج حتى الان المجموعات التالية:

١ ـ عالم ولكنه صغير ١٩٥٦

٢ ـ زهرة استوائية في القطب

٣ ـ الثوار مروا ببيتنا

وهو من الجيل الثاني في تاريخ القصة السورية « الذي يتضمن اسماء ، مثل ياسين رفاعية ، فارس زرزور ، سلمى الحفار الكزبري اسكندر لوقا ، جورج سالم » .

ان معظم الكتب والدراسات النقدية التي صدرت في القطر، بدءا من كتاب شاكر مصطفى القيم ، لم تتجاهله وحتى كتابات عدنان بن ذريل ، وخلدون الشمعة ، وبدرالدين عرودكي ، والدكتور حسام الخطيب ، كما تجاهله بانفلاشية وتصميم محمد العيتاني ، لان (عادل ابو شنب) كما يقول الناقد الجاد خلدون الشمعة « يتميز بطاقة نامية على التركيز والايحاء ، فالقصة لديه لحظة نفسية مكثفة « طاقة مسدس » ، اما عن قصته (عالم ولكنه صغير) فتفصح عن موهبة رائدة في القص المعتمد على تقديم المتأخر وتأخير المتقدم ، كما في الفن السينمائي ، هذا بالاضافة الى انها تمثل احد النماذج المبكرة في التداعي النفسي بشكله المنظم .. وفي (احزان الرجل الصغير) يطور (عادل) تقنية مقننة للحظة نفسية يحافظ على تواترها وحرارتها رغم تشعبها وامتدادها) .

عبدالله ابو هيف : صاحب قصة « الرجل الذي نسي عيد الميلاد » هو صاحب قصص عديدة منها : ملامح خيبة على وجه شرقي ، صورة سلمى معروف بالابيض والاسود ، العربي يحب الله ، ابراهيم الجرادي قال لي :هل تريد السر ، الانطلاق من نقطة غير معروفة، وجه آسيا الحزين ، الساموراي برفص عاريا ، عما جاء في اللحظة المبتورة وغيرها ، والمنشورة في مجلات وجرائد عديدة منها : المعرفة ، الطليعة، نادي القصة ، الثقافة الاسبوعية ، البعث ، الثورة ، الشبيبة.. الخ

ويعتبر هذا الشاب من مجددي القصة القصيرة شكلا ومضمونا، ويمثل مع ابراهيم الخليل ، بندر عبدالحميد، خليل الجاسم الحميدي، عادل محمود ، محمد كامل الخطيب ، وديع اسمندر ، نيروز مالك ، محسن غام ،وربماكاتب هذه السطور ، وجه سورية القصصي ،ونستطيع ان نقول بثبات وقناعة ان ابراهيم الخليل ، وعبدالله ابو هيف ، استطاعا خلق عوالم جديدة ومتطورة وناضجة للقصة السورية الشابة، بشهادة اكثرية المهتمين بالحركة الادبية في القطر ، ان أراد العجيلي او لم يرد ، وان وافق العيتاني او لم يوافق .

أعود مرة ثانية ، لاستفز الاستاذ العيتاني ان قلت : ان التملق البدائي المقيت الذي ظهر في مقالتيه (الاخبار الآداب) وفي تقديمه لمحاضرة العجيلي ، كان بحد ذاته خنقا لكل قدرات النقد المبدعة الكامنة في داخل كل أديب خلاق .. ان الروح التهويمية التي غلفت آراء العيتاني ، جعلتنا نرى ان مترجم « رأس المال » تسي او تنامي وهو كما نعرف (آن لم نخطيء) يستند على ثروة فكرية انسانية لا تنضب .. ان المعركة لا تزال وستظل معركة بين اليمين واليسار،معركة التحزب الفكري .. ومن هذا المنطلق كان بامكانه ان يناقش كتابات الدكتور العجيلي ، التي تنظر الى الواقع خلال اهداب برجوازية كسلى، تتلذذ بآلام الواقع ، ولا تصنع له الحلول ، خوفا على الواقع التي تتمركز عليها .. لقد صور العجيلي في كتاباته .. مشاكلنا الاجتماعية بنظرة فوقية مترفة .. لم نستفد منها غير قدرة العجيلي وملكته على القص وبراعته في تضخيم الحوادث البدائية..« لقد شعرت بالغبن منذ اللحظة الاولى التي قرأت فيها العجيلي ابن مدينتي..الذي يصور انساننا المتعب في الشمال كمخلوق مضحك واسيان تتندر به الصالونات الادبية في المدن الكبيرة ..» .

ورد في كتاب عن « الادب والفن » لماركس وانجلز قولهما :« ينبغي جعل الاضطهاد الواقعي ، اضطهادا اشد وأقوى ايضا ، بأن يضاف اليه الوعي بالاضطهاد ، وينبغي جعل العار عارا أشد أيضا بجعله علنيا » هنا نتوقف مع العيتاني .. ونحن في عصر الثورة الاشتراكية .. عصر التحرر الانساني من الاستعمار والتخلف ..عصر تعجز الثورات التي تطمح الى رسم وجودها بيديها .. اقف لاسأل ..ماذا قدم العجيلي (احاسبه هنا بمنظاري ومنظار العيتاني) عبر تتويجاته لافكار العشائرية، والقتل دونما مسوغ مقنع .. والثأر بقسوة الاوباش .. ماذا قدم عبر قصصه غير الحديث عن « مضافة » عمه حداد ، وعن بطن «سالي» الناعمة الملمس .. لم يكن ما قدمه العجيلي ـ ولا اطلق هنا صفة التعميم ـ اكثر من ترف فكري تتوقف رسالته عند الامتاع ومحاولة قتل الوقت والظهور بجديد .

ان « الانا » الكبيرة في كل ما يكتب العجيلي .. افقدت قصصه معناها الانساني .. فرحلاته المترفة في الشانزليزيه .. ولندن .. وامستر دام .. والحديث عن فرامل سيارته « الاوتوماتيكية » التغيير، ليست اكثر من هموم برجوازي تثقل :

« كنت في كل هذا المسير اتحدث أو أعلق او اصغي وأنا اسوق الكاديلاك ، ويدي على مقودها الطيع ، وقدمي مطمئنة على ضاغط البنزين .. ازيد السرعة او اخفضها تاركا لجهاز تبديلها الاوتوماتيكي.. ان ينظم سيرها .. دون ان اشغل بالي بما يشغل سائقو السيارات ذات الجهاز اليدوي .. لتبديل السرعة من اهتمام بارتقاء المرتفعات او النزول في المنحدرات .. ان الكاديلاك تسير على الارض المحصبة وكأنها تدرج على ريش النعام .. فكيف سيرها في دروب لبنان العريضة واسفلتها الاملس .. » .

ان الرؤية البرجوازية التي تطرح في كتابات العجيلي مقالة وقصة هي رؤية متحزبة ، ولا يخجل منها كما لا يخجل « اراغون » من تحزب ادبه .. وليتذكر معنا الاستاذ عيتاني مقالة العجيلي « نحن جيل الدربكة » بكل هذا التفجع والتشفي البرجوازي يصرخ : نحن جيل خائب .. دربكة لماذا ..؟ هذا ما يتجاهله العجيلي ويصر عليه.

أستغرب كيف قام العيتاني باهدار لكافة قيمه الثورية .. بهذا التملق المخجل .. اننا نرى ، كما يرى « لينين » ان الادب طبقي

.. ولن يكون هناك ادب لا طبقي .. الا في ظل مجتمع بلا طبقات ... مع ذلك لا اوافق « سعدالله ونوس » على تعميمه بان ادب العجيلي « ادب صالونات » او « عبدالله ابوهيف » في قوله : (اراد العجيلي ان يتسلى فكتب .. وحينما تسلى قالوا له : انت تكتب » بل نقول :انه ادب طبقي .. برجوازي متخاذل » في مجموعة العجيلي الاخيرة ، التي صدرت منذ اسابيع وهي « فارس مدينة القنطرة » « نجد صدى آخر هي تعبيرات ابو كالبسية ، لتجربة الكاتب في قرى الحدود الفلسطينية وهي قصة « نبوءات الشيخ سليمان » ونرجو ان لا نصح هذه النبوءات لان فيها حكما عدميا على مجمل نضالنا من اجل تحرير التراب العربي المحتل » .

★ ★ ★

حول رؤية العجيلي في القصة ونظيره لها ، نود ان نردد ما تعلمناه في المدارس الاعدادية :

١ ـ تتالف القصة من حوادث واعمال وهي ما نسميه التصميم والحبكة

٢ ـ وهذه الحوادث والاعمال تقع على اناس يسمون في القصة اشخاصا .

٣ ـ وهؤلاء الاشخاص باعمالهم يوجدون ضمن الزمان والمكان

٤ ـ وهم يتكلمون باسلوب معين .

امام هذا التعريف نجد في العيتاني ، كما وجد العيتاني في العجيلي قاصا مجددا وروائيا مبدعا سواء في روايته « حبيبتي تنام على سرير من ذهب وحولها ... الخ » المنشورة تسلسلا في«الاخبار» او قصته « الساكن والمتحرك » المنشورة في (جيش الشعب) السورية او (لحظة ضوء) المنشورة في « الطريق » .. الخ .. ولكننا بعد ان اطلعنا وتعرفنا على كتابات وليم فوكنر ، جون اوزبورن ، نعتيشنكو ، كافكا ، وتابعنا حركة التجديد العربية التي انطلقت من مجلة « الآداب » واستمرت على يد زكريا تامر ، حيدر حيدر ، وليد اخلاصي، جمال الفيطاني ، سليمان فياض قصة وادونيس ، فاضل عزاوي ،علي الجندي ، شعراء المقاومة ، شعراء « البيان العراقي » وغيرهم الكثير .. مع احتفاظنا برؤيتنا العلمية للاشياء نقول : ان كتابات العيتاني ليست مع الواقعية الاشتراكية ، بل شهادة عليها ، فالشكل المنخلف في مضمون متقدم ، كالمضمون المتقدم في شكل متخلف كما يقول الاستاذ « حنا مينه » ، ومع احترامنا لرأي الناقد الجاد « محمد دكروب ».. فعذرا ان يحفر الاديب بينه وبين فكره خندقا هذه مصيبة .. وان يكون مبررا ومنمقا لا ناقدا هذه مصيبة اكبر ..

لقد أطلت .. لان الصمت لم يعد ممكنا ..؟

ونحن جيل بلا نقاد .. كما يقول الاستاذ سليمان فياض ..

الرقة ـ سورية

ابراهيم الجرادي

دار الآداب تقدم

الثقافة والثورة في مقالات النقد

بقلم
محمود أمين العالم

« طوال العشرين سنة الماضية ، احتدم في الوطن العربي كله صراع حول نظرية في النقد الادبي او النقد الثقافي بوجه عام ، كان مداره طبيعة العلاقة بين الثقافة ـ من ادب وفن وفكر ـ وبين متطلبات الثورة التحريرية والاجتماعية والقومية . على انه ـ في الحقيقة ـ كان تعبيرا عن صراع اعمق ، هو الصراع الطبقي في مجتمعاتنا العربية كلها ..

... ولعل هذا ما دعاني الى التفكير في تجميع طائفة متنوعة من المقالات شاركت بها في هذا الصراع تحديدا لملامح تلك النظرية النقدية التي ليست هي ـ ببساطة ـ الا دعوة الى تنمية الثقافة الثورية العربية باعتبارها امتدادا وتطويرا لاشرف ما في تراثنا القومي العريق والى التعجيل بثورة ثقافية جذرية ، تعمق ثورة التحرير والاشتراكية والوحدة القومية ، وتعيد بناء الانسان العربي بناء حضاريا جديدا ، غير منقطع عن اشرف ما في تراثه القديم ، غير معزول عن حقائق مجتمعه وعصره . انها دعوة الى توظيف الثقافة توظيفا ثوريا في حياتنا ، دعوة الى التخطيط الثقافي بما لا يتناقض مع جمالية الابداع وذاتية الخلق وحرية التعبير ..»

من مقدمة المؤلف

صدر حديثا — **الثمن ٥٠٠ ق.ل**